طريق الشوك

بقلم : حسنى المشهراوى

فى كثير من الاحيان كنت عندما اخلو الى نفسي أفكر فى أشياء أصبحت الآن انشدها فى وجوه الناس جميعا .. غير خائف ان ينتقدنى احد منهم او يكشف من خلفها سرا من اسرارى ذلك لاننى املك من الشجاعة فى ابداء الرأى اكثر من غيرى .. وفى احد الايام قلت أمام اصدقائى فى غرور وكبرياء .

ـ بالمال نحصل على كل شىء حتى الاحترام وكل شىء معنوى .

فقال احدهما وكان يدافع عن نفسه :

ـ بالمال تشترى المادة فقط ولكن لا تستطيع أن تشترى القيم الانسانية وتدخلها فى نفسك .

ـ ماذا تعنى ؟! ..

ـ اعنى انك وان كنت على درجة كبيرة من الثراء فانك لن تستطيع ان تغير من حالتك النفسية .. او لن تستطيع ان ترفع من انفسنا الصورة الناطقة عن شخصك .

ـ افصح فانك تتكلم مالا يفهم .

ـ ذلك لانك لا تفهم ما اقول .

كنت أتمسك برأيى وكانتى على حق وكثيرا ما اثبتوا خطأ افكارى وآرائى ولكننى اتمسك بها وان كانت خطأ .. لا أدرى لماذا .. ربما الغرور والشعور بأنى فى مستوى فوق الناس يدفعنى لذلك ..

ونتجادل حتى يقبل « الجرسون » ويخبرنا عن ميعاد اغلاق المقهى .. انه متعود أن يفعل ذلك .. فنحن أول « زبون » له وآخر « زبون » .

ثم تسير الى حيث نفترق واحدا بعد الآخر .. ذاهب كل منا الى منزله .

وفى صباح احد الايام قال لى ذلك الصديق المختلف فى افكاره عن آرائى ـ على نفس المائدة .. وفى نفس المكان .

ـ لقد حصلنا على فريسة كأنها البدر فى كبد السماء .. ولكنها على الارض .. هل تشاركنا الليلة فى التهامها .

فقلت له فى غير اكتراث :

ـ فى منزل من .

ـ ان والدى الليلة خرجوا من المنزل فافضل أن يكون فى منزلنا .

ـ ولكننى مللت لكثرتهم .

ـ وان يكن ذلك .. فان فيهن سلوى وبخاصة لمن شاكلك .

ـ أتريد أن تقول شيئا ؟! ٠

ـ لا ٠٠ فقط اردت ان اذكرك بانك ترى ٠

ثم قلت له وكأنني قد نسيت شيئا :

ـ ومن المشترك ؟! ٠

ـ انا وانت وســـامى ٠٠ أو تظن غيرنا ٠

ـ اذن افعل ما تســـتطيع ان تفعله لاجل هذا ٠٠ وانا فى الثامنة مســـاء سأكون عندكم ٠

ـ ولكن النقود ٠

وأخرجت من محفظتى النقود واعطيته ورقة تحمل عشرة ٠٠ وعندها قلت :

ـ هل يكفى ؟! ٠٠

قال بارتياح قد بدا على محياه :

ـ يكفى ٠

وخرجت اتجول فى الطرقات غـــير عابىء مما حدث قبل لحظات على الاطلاق بل لم أعط لنفسى التفـــكير فى ذلك كعـــادتى ٠ ولـــكن شيئا لم تطمئن اليه نفسى قد تراءىأمامى ثم اخترق اسوارها فشعرت بأن الخوف والفزع قد اخذ من نفسى ما أخذ ٠٠ ولـــكن قـــوة ارادتى وجرأتى ازالت هذا الكابوس عن كاهلى حين أتت الساعة الثامنة ٠

كان الظلام يحيط المدينـــة من كل جانب عدا الاماكن الموجود بهـــا تلك الانوار الصناعية٠٠ وبينما كانتتتراءى لى هذهالمناظر ٠٠ كنت أرى اشباحا تدق اجراس الخوف والفزع فيرن صداها فى نفسى ٠

وأخيرا .. اخيرا وصلت الى منزل صديقي وكم من مرة اليه قد وصلت ولمثل هذه المهمة .. ثم دخلت المنزل.. وفي اثناء وصولي الى نهاية الدهليز وجدت ماحدثتني عنه نفسي .. وجدت الرعب وقد برزت انيابه .. ولكن بصورة أبشع مما كنت اظن .. فلم أعمل لذلك حسابا حتى لا تواجهني الصدمات .

لقد وجدت اختي في المنزل .. وجدتها خارجه .. اذا فهي الفريسة .. وقد تم كل شيء .

انهارت قواي .. وارتجف جسدي واومضت عيناي ببريق الشر .. ثم بعد هنيهة وجدت ان قوة لا أدري كنهها قد ملكتها واصبحت بها عات قوي ـ ونظرت بجانبي فوجدت حجرا كبير الحجم بجثو حيث نظري .. فحملته بينما كانت تقول ببراءة ظننتها خداعا :

ـ ها انت قد ..

فادركت سبب حملي الحجر .. حيث ارادت ان تهرب من غضبي .. ولكن الحجر ارقدها على الارض وهشم رأسها.

ياله من منظر .. لن انساه مادمت حيا .. بل وان حاولت ان انسى .. فقد ادركت ان انفها قد هبط الى مكان فمها وقد تهشمت أسنانها وفغرت عيونها الجميلة .. وامسى وجهها مدرجا بحمرة قانية كانه تلك الانوار الصناعية التي مررت عنها قبل دقائق .. لقد تحولت الى منظر لا استطيع أن اميزها به .

ثم تركتها تئن كالحروف الذبيح ودخلت لاقتل صديقي بنفس الحجر الذي قتلت به أختي .. عندما وجد نذير الشر في عيني قال :

ـ انها اتت للسؤال عنك فقط .

فوضعت عليه الحجر وقلت :

ـ ولكنك السبب .. مت مثلها .

وتملكتني رغبة في ان امحو اسم كل من في داخل المنزل .. من صديق وعدو .. وبينما كنت أبحث عمن في الداخل اذ بالبوليس يلقي القبض علي .. ويكبل يدي بالحديد .

وبعد ايام قدموني للمحاكمة .. فقال الحاكم يسألني :

ـ اتقر بانك القاتل ؟! .

ـ نعم أنا ذاك .

ـ وما السبب ؟ ! ..

ـ لقد أردت أن أكون انسانا ففعلت ذلك .

واجتماعات كثيرة عقدت لشأني .. وفي النهاية كان المؤيد هو المالك لحياتي .. وعلى الرغم من مضي ثلاث سنوات للحادث فانني لازلت اذكر ذلك الوجه البريء ـ وجه اختي المظلومة ـ فلايفارقني صباحا اومساء وكانه يعاتبني على ما فعلت .. وأبتهل الى الله في كل لحظة من حياتي ان يرحمها وبالغفران لما فعلت ثم ادركت أخيرا ان المال ليس كل شيء في الحياة .